رأي القدس

حزب الله: ومعضلة ما بعد الصمود

■ بعد ان يهدأ غبار العدوان الاسرائيلي الحالي على لبنان، ستبدأ حقائق جديدة في الظهور، ابرزها رد الاعتبار للمقاومة كوسيلة فاعلة في تحرير الارض والاسرى، وتغيير المعادلات الاقليمية، في مواجهة مفهوم آخر، ساد في المنطقة على مدى ثلاثين عاما، وبدأه الرئيس الراحل انور السادات، ويركز على الحلول السلمية باعتبارها الانجع والاكثر فاعلية والاقل كلفة.

المقاومة الاسلامية التي يتزعمها حزب الله في لبنان حاليا، اظهرت نهجا جديدا يمكن ان يكون قدوة للكثيرين في المستقبل من حيث التنظيم والاستعداد والصمود والقرار الاكثر استقلالية.

فحزب الله بات يُنظر اليه في الوطن العربي، والعالم الاسلامي، على انه ليس قوة شيعية محلية، وانما حركة مقاومة عربية اسلامية تمثل كل الطوائف دون اي استثناء. وفشلت كل محاولات وعاظ السلاطين في التركيز على شيعيته، والتشكيك في نواياه وارتباطاته الايرانية.

المسألة المهمة حاليا، التي تستحق البحث، هي ليست انتصار الحزب او هزيمته في الحرب الحالية الدائرة في لبنان، وانما ما يمكن ان يترتب على نتائج هذه الحرب، انتصارا او هزيمة، عربيا واسلاميا وعالميا.

انتصار الحزب لا يعني الحاقه هزيمة بالدولة العبرية وتحرير الاراضي الفلسطينية، فهذا هدف ليس بمقدور حركة مقاومة انجازه وحدها، بسبب الفارق الكبير في القوة العسكرية، ولكن صموده واستمراره بعد وقف اطلاق النار المتوقع، هو الانتصار الذي نعنيه هنا، والذي يمكن ترجمته في اشكال سياسية متعددة، منها اعادة صياغة موازين القوى في لبنان، بما يتلاءم مع القوة العسكرية والسياسية الصاعدة. ومن ابرز ملامح هذه الصياغة انتخاب رئيس جمهورية وبرلمان جديدين يتبنيان شعار المقاومة والصمود، ويقيمان تحالفات اوثق مع القوى المساندة، مثل ايران وسورية وحركات المقاومة في فلسطين وخاصة حماس والجهاد الاسلامي.

هزيمة الحزب، اي تدمير قدراته العسكرية وتحقيق اهداف هذا العدوان في تأليب الرأي العام اللبناني ضده باعتباره مسؤولا عن هذه الازمة، مثلما يقول الاسرائيليون وبعض العرب، ستكون كارثة ليس على لبنان، وانما على المنطقة بأسرها، والسياسة الامريكية فيها على وجه الخصوص.

فحزب الله اذا ما انهزم، وفق هذه المعايير، وهو امر مستبعد في رأينا، ستؤدي هزيمته الى انتقاله الى العمل تحت الارض، والانطلاق من الرغبة في الثأر والانتقام، وقد لا يقتصر هذا الانتقام على اهداف داخل لبنان او الاراضي الفلسطينية المحتلة، بل ربما ينتقل الى الخارج.

ما نريد ان نقوله ان انتصار حزب الله المعنوي والسياسي في الحرب الحالية ربما يكون اقل كلفة بالنسبة الى الولايات المتحدة والدول الغربية من الحاق الهزيمة به وتدمير قدراته العسكرية وازالته من الخريطة السياسية اللبنانية، مثلما تريد القيادة العسكرية الاسرائيلية من عدوانها الحالي.

من مصلحة امريكا والغرب حاليا التسليم بالواقع الجديد الذي فرضه حزب الله بصموده في وجه العدوان الاسرائيلي، والشعبية الواسعة التي يحظى بها زعيمه السيد حسن نصر الله في العالمين العربي والاسلامي، من حيث الاقتناع بانتهاء اسطورة التفوق العسكري الاسرائيلي، وقدرته على حسم الامور في المنطقة عن طريق القوة التدميرية، والبحث مجددا عن سياسة خارجية عادلة ومتوازنة تعمل بجدية من اجل ايجاد حلول دائمة ومقبولة للمشاكل الاساسية في المنطقة، وابرزها قضيتا فلسطين والعراق.

«المجتمع الدولي»: مسمّى زائف واصطفاف أعمى خلف أمريكا

صبحي حديدي *

■ العدوان الإسرائيلي البربري الهمجي الوحشي (رجاء أن يعذرنا العقلانيون إذْ نصرّ على استخدام هذه الصفات) مثال جديد على العديد من الأمثولات العتيقة المكرورة التي تصنع تاريخ النظام الدولي المعاصر، أو ذاك الحديث والحداثي بأسره لمن يشاء، وتنتج وتعيد إنتاج أخلاقياته ومعاييره وخطاباته وعلاماته. ويكفي الآمل خيراً في هذا النظام أن يستعرض الجدل الطويل المضني (أين منه سفسطة البيزنطيين!) الذي شهدته بروكسيل قبل أيام، حول الفارق بين «وقف إطلاق النار» و«وقف الأعمال العدائية»، الذي غرقت فيه ديمقراطيات الإتحاد الأوروبي قبل أيام، وفي الآن ذاته كان الوحش الإسرائيلي البربري الهمجي يواصل الإجهاز على المزيد من المدنيين في لبنان، فيقتل عشوائياً، ولا يبقي حجراً على حجر، ويضرب ويقصف وينسف ويدمّر، شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً.

مصيبة هذا النظام ـ الذي، للتذكير فقط، يُختصر بين الفينة والأخرى إلى عبارة واحدة وحيدة، غائمة جامعة مانعة في آن، هي: «المجتمع الدولي» ـ لا تقتصر على ارتداده إلى سلوك سابق مكرور أثبتت الوقائع إفلاسه وعواقبه الوخيمة فحسب، بل كذلك في أنّ الارتداد ينطوي على الانحطاط أكثر فأكثر، نحو عواقب أشدّ أذى وأبعد أثراً. وفي الماضي كانت صيغة الكليشيه المعتادة في اندلاع حروب إقليمية أن يطالب «المجتمع الدولي» دون سواه بوقف إطلاق النار فوراً، إنْ لم يكن بدافع النفاق ورفع العتب، فعلى الأقلّ بغية إفساح المجال أمام القوى الكبرى المعنية ببعض أو جميع أطراف الاقتتال (وهي، دائماً وأبداً، معنية بالضرورة!) كي تتساوم وتتفاهم وتتفق.

الآن تعمد الولايات المتحدة، وخلفها يلهث رئيس الوزراء البريطاني توني بلير كما يليق به أن يفعل عادة، إلى إسقاط واجب الحدّ الأدنى هذا، الذي كانت تتمسح به في الماضي ولعلها ستتمسح به مجدداً في أية سانحة قادمة مختلفة السياقات، فتمتنع عن المطالبة بوقف إطلاق النار، وتعلن أنّه «غير مفيد الآن»، أكثر من هذا، تضغط أمريكا على حلفائها وسائر الأجرام الدائرة في فلكها كي لا يصدر أيّ قرار عن أية جهة دولية (مؤتمر روما، مجلس الامن الدولي، الإتحاد الأوروبي...) يشير إلى العبارة الرجيمة: وقف إطلاق النار. وبالطبع، لا يخفى على أحد أنّ هذا الرفض يمنح الدولة العبرية كلّ الوقت، بل الوقت المفتوح بلا قيود ولا ضوابط، كي تنهي ما تشاء من مهامّ في جنوب لبنان. وما دامت المقاومة اللبنانية صامدة وباسلة، بل وتردّ الصاع صاعين أحياناً في مستوى القتال المرن المتحرك غير الكلاسيكي، فإنّ العدوان الإسرائيلي لا يتعجّل البتة فيتمهل ويتباطأ ويقلّب الرأي كلّ يوم في أمد العدوان: أسبوع آخر، 10 ـ 14 يوماً، أسابيع أو أشهر غير محددة، حتى تتحقق أغراض الحرب!

والأيام الأخيرة برهنت من جديد (وكأنّ أحداً يظلّ بحاجة إلى برهان!) أنّ أوروبا العملاقة الموحدة، القارّة العجوز العريقة وأمّ أنظمة الإستعمار وفلسفات الأنوار وأنظمة لديمقراطية في آن معاً، عاجزة تماماً عن اعتماد سياسة خارجية مستقلة قيد إنملة عن تلك السياسات التي تعتمدها الولايات المتحدة، مؤقتاً أو على المدى الإستراتيجي، إزاء سلسلة طويلة من الملفات الدولية الشائكة، وعلى رأسها قضايا الشرق الأوسط بالطبع. وعلى سبيل المثال، أشارت التقارير إلى أنّ فنلندا، التي تترأس الإتحاد الأوروبي حالياً، صاغت مشروع قرار يدعو على وقف فوري لإطلاق النار، كما يتضمن عبارة اخرى رجيمة تحذّر من أنّ «عدم الاكتراث بالتنبيهات الضرورية لتفادي وقوع خسائر في المناطق المدنية يعدّ انتهاكاً صارخاً للقوانين الإنسانية الدولية». وبالطبع، سقطت العبارتان، ليس نزولاً عند رغبة بريطانيا وحدها هذه المرّة، بل كذلك إرضاءً للوفود الألمانية والتشيكية والبولندية والدنماركية!

المثال الثاني، ولكن من الواقعة ذاتها، أنّ الدبلوماسية الفرنسية هللت لهذا القرار الأوروبي، فاعتبرته انتصاراً لمساعيها وتدشيناً لـ«حزمة» التسوية التي ستفضي إلى نشر قوّات حفظ سلام متعددة الجنسيات، وتطبيق القرار الأممي 1959. ولقد تناسى وزير خارجيتها فيليب دوست ـ بلازي أنّ النصّ يشكّل ردّة فاضحة عن المطالب الفرنسية في الأيام الأولى من العدوان، وهي المطالب التي تبنتها إيطاليا وإسبانيا، حول وقف إطلاق النار على الفور، ودون شروط. ونحن، في هذا الصدد، ابعد ما نكون حتى عن اللغة الشعرية العالية التي صال بها وجال دومنيك دوفيلبان، وزير الخارجية الفرنسي السابق ورئيس الحكومة الحالي، في وجه المحور الأمريكي ـ البريطاني قبيل غزو العراق.

الردّة، مع ذلك، أكثر فضائحية في مواقف القادة الأوروبيين الآخرين، الذين أعادوا تذكيرنا بآخر مناسبة مماثلة لإعادة إنتاج المكرور، في هيئة انحطاط أشدّ فضاحة لمسمّى «المجتمع الدولي». وقبل قرابة ثلاث سنوات فقط أتحفتنا بالهيئة المنحطة تلك حفنة من أبرز قيادات الديمقراطيات الأوروبية (سبعة بالتمام والكمال: الإسباني خوزيه ماريا أثنار، البرتغالي خوزيه مانويل باروسو، الإيطالي سيلفيو برلسكوني، البريطاني توني بلير، التشيكي فاكلاف هافل، الهنغاري بيتر ميجيساي، البولوني لاشيك ميللر، والدنماركي آندريس راسموسن)، حين اختاروا صحيفة «التايمز» البريطانية لتوقيع بيان مشترك يدعو إلى الحرب ضدّ العراق، ويتجرّد علانية من الضمير (الضمير القياسي البسيط المتفق عليه كونياً، والذي يحدث انه ضمير أوروبا القارّة العتيقة العجوز، وضمير فلسفات العقل والحداثة وحقوق الإنسان...)، ويمارس قلّة احترام الذات، واحتقار الشعوب وغضّ البصر عن عذابات البشرية.

الفرسان السبعة، زعماء الديمقراطيات الأوروبية، لم يترددوا في رفع الفزّاعات ذاتها التي رفعها البيت الأبيض آنذاك، بل أضافوا إليها جرعة من المزاودة في الإعراب عن الإفتتان بالولايات المتحدة (والغمز بالتالي من الدول الأوروبية الأخرى التي لم توقّع هذا النصّ، وفي طليعتها فرنسا وألمانيا)، وجرعة ثانية من المزاودة على دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي: «نحن في أوروبا نرتبط مع الولايات المتحدة بعلاقات صمدت أمام اختبار الزمن. فبفضل شجاعة وسخاء وبُعد نظر أمريكا، بصفة أساسية، نجحنا في التحرّر من شكلين من أشكال الطغيان دمّرا القارّة في القرن العشرين: النازية والشيوعية. وبفضل التعاون المستمرّ بين أوروبا وأمريكا تمكنّا، أيضاً، من ضمان السلام والحرية في القارّة. والعلاقات هذه ينبغي أن لا تكون ضحية محاولات النظام العراقي المستمرة لتهديد الأمن الدولي».

في الآن ذاته كان وزير الدفاع الأمريكي دونالد رمسفيلد يرى في الحرب على العراق فرصة «لاستئصال ازدواجية الموقف الأمريكي من استخدام القوّة، والتي خلقتها فييتنام»، فضلاً عن تخليص البنتاغون من عقدة «الضربات الصاروخية» التي طبعت الحقبة الكلينتونية (والتي سخر منها الرئيس الأمريكي جورج بوش نفسه في خطاب حال الإتحاد). من جانبه كان ديك شيني، نائب الرئيس الأمريكي، يرى في الحرب على العراق فرصة لتخليص الوجدان الأمريكي من «أشباح الستينيات: فقدان السلطة الأخلاقية والإحساس بأنّ أمريكا تضمحلّ أو تسير في الطريق الخطأ».

الفرسان السبعة من جانبهم اعتبروا الحرب على العراق فرصة لـ«ضمان السلم والأمن العالميين»، وفرصة إضافية ـ وكذلك: فرصة ثمينة! ـ لكي يبرهن مجلس الأمن الدولي لى «مصداقيته عن طريق ضمان الإلتزام التامّ بقراراته». وكان يسيراً تماماً، وغير مدهش بالتالي، أن يتناسى الفرسان السبعة عشرات القرارات التي اتخذها المجلس ذاته في ملفّ الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وظلّت حبراً على ورق لأنّ الدولة العبرية ترفض تطبيقها، هكذا ببساطة. وكان تحصيل حاصل أن يتناسى زعماء الديمقراطيات الأوروبية أنّ الرئيس الأمريكي لفظ عبارة «دولة فلسطينية» مرّة واحدة في خطاب استغرق ساعة كاملة، وكأنه كان يقول إنّ ما تمارسه سلطات الإحتلال الإسرائيلية في فلسطين المحتلة من مذابح وحشية وممارسات نازية لا يهدد السلم والأمن العالميين، أو لا علاقة له بهما أبداً!

وفي تلك البرهة من اصطفاف معظم الديمقراطيات الغربية خلف الولايات المتحدة في قرار خوض الحرب أو إعطاء السلام فرصة من أيّ نوع، كانت الأرقام تقول إن أمريكا تنفق على السلاح والجيوش والقضايا الأخرى الدائرة حول فكرة «الأمن القومي» مايزيد على مجموع ما ينفقه العالم بأسره. وفي المشهد ذاته، قبل نشر عشرات الآلاف من القوّات الأمريكية والبريطانية في الخليج للانقضاض على العراق، كان أكثر من نصف مليون عسكري أمريكي ينتشرون في 395 قاعدة عسكرية كبيرة، ومئات القواعد الثانوية الأصغر، في 35 بلداً أجنبياً. ومنذ الحرب العالمية الثانية وحتى عشية اندلاع حرب الخليج الثانية، أنفقت الولايات المتحدة أكثر من 200 مليار دولار لتدريب وإعداد وتسليح جيوش أجنبية في أكثر من 80 بلداً، أسفرت عن أكثر من 75 انقلاباً عسكرياً، وعشرات الحروب الأهلية التي تسببت في مئات الآلاف من الضحايا.

وفي غمرة ذلك كله كانت تجري عمليات دائمة من «تصنيع» العدو وتأثيمه إلى المدى الأقصى الذي يبرر التدخل العسكري، والغزو، والإنقلاب، والحرب الأهلية. كانت هذه هي الحال مع بناما، مصر، البيرو، البرتغال، نيكاراغوا، التشيلي، جامايكا، اليونان، الدومينيكان، كوبا، فييتنام، كوريا الشمالية، لبنان، العراق وليبيا... وليس مهماً هنا أن يكون العدو إصلاحياً، أو ديمقراطياً، أو اشتراكياً، أو شيوعياً، أو إسلامياً. والولايات المتحدة، آنذاك كما اليوم أيضاً، تنفرد وحدها بموقع رائدة «العالم الحرّ» بامتياز، التي تفرض الثقة أو تحجبها، وتوافق أو لا توافق على هذه أو تلك من التعاقدات الدولية، بصرف النظر عمّن يبرمها. لكن أجهزتها الأمنية ـ وتحت ستار «الأمن القومي» الأمريكي دائماً ـ شاركت في إسقاط أنظمة ديمقراطية أو إصلاحية منتخبة في غواتيمالا، غويانا، الدومينيكان، البرازيل، تشيلي، الأرجنتين، اليونان، أندونيسيا، بوليفيا، وهاييتي. كذلك شاركت الأجهزة ذاتها في مؤامرات خفية، أو عن طريق استخدام المرتزقة، ضدّ حكومات شرعية في كوبا، أنغولا، الموزامبيق، إثيوبيا، كمبوديا، تيمور الشرقية، الصحراء الغربية، سورية، مصر، لبنان، البيرو، زائير، جنوب اليمن (سابقاً)، وجزر فيجي.

بعض الزعماء الذين وقّعوا بيان العام 2003 غادروا السلطة، وبعضهم ما يزال في هرم القرار، غير أنّ روحية الإصطفاف ما تزال على حالها تقريباً، أو على حالها مع مزيد من الإنحطاط. هل يعيد التاريخ نفسه، اليوم بالذات، وببساطة مذهلة؟ نعم، دون تردّد، مع فارق أنّ الأدوات وحدها هي التي تتبدّل، وأمّا الأداء فهو ثابت متكرّر. ثمّة سجلّ إمبريالي لا ينبغي التقاعس عن استذكاره كلما قرع الأمريكيون طبول الحرب، بأنفسهم او عن طريق حلفاء أو وكلاء، وكلما لوّحوا بالأصفاد والسياط والصناديق المعدة لسجن الحضارات والشعوب والأفراد دونما مستند شرعي في القانون الدولي.

كلما فعل الأمريكيون ذلك، وكلّما سار الأوروبيون وراءهم: كالنعاج، أو كالضباع... الأمر سيّان!

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

الخوف يبدل مواقعه وينتقل الى الجانب الاسرائيلي

عبدالله الحوراني *

■ ليبرر الحكام العرب عجزهم وتقاعسهم عن تحرير الأرض العربية، ومواجهة جيش الاحتلال الصهيوني، وجرائمه التي يرتكبها بحق أطفال الأمة ونسائها وشيوخها... نشروا عبر خطابهم السياسي والإعلامي، وعلى مدى عقود من الزمن، ثقافة الخوف والرعب في نفوس المواطنين العرب، تحت عنوان أن الجيش الإسرائيلي لا يقهر.

هذه السياسة الرسمية العربية خلقت حالة من اليأس والإحباط والخوف في نفس المواطن العربي، وبالمقابل صعّدت من الروح العدوانية الإسرائيلية، وزادت من التعنت الإسرائيلي في رفض أي انسحابات من الأراضي المحتلة، بل ورفعت من سقف المطامع الإسرائيلية في بسط هيمنتها على المنطقة العربية سياسياً واقتصادياً وعلمياً من خلال ما سمته مشروع الشرق الأوسط الكبير.

وبالتدقيق في أكذوبة الجيش الذي لا يقهر، والدولة التي لا تقهر، نجد أن هذه المقولة كُسرت عربياً ثلاث مرات:

الأولى: في حرب تشرين أول (اكتوبر) 1973 عندما انتفض العرب، بقيادة عبد الناصر، بعد نكسة عام 1967 وأعادوا بناء قوتهم العسكرية واستخدموا طاقاتهم وقدراتهم المادية الهائلة، وخاصة النفطية، وأطلقوا شرارة حرب 73، وتمكنوا من قهر الجيش الإسرائيلي على خط بارليف، وضربوا العمق الإسرائيلي، مما أوقع الرعب في كل نواحي الكيان الصهيوني، والانهيار في صفوف القيادة العسكرية والسياسية الإسرائيلية.

والثانية: عندما انطلقت الصواريخ العراقية في حرب الخليج الأولى في النصف الثاني من كانون ثاني (يناير) 1991 لتدك تل أبيب، وتزرع الذعر والخوف في نفوس الإسرائيليين، وتدفع مئات الألوف منهم إلى مغادرة إسرائيل.

والثالثة: هي ما تقوم به الآن المقاومة العربية الإسلامية اللبنانية بقيادة حزب الله من بطولات في ضرب القوات البرية والبحرية الإسرائيلية، وإيقاع أفدح الخسائر بها، ومنعها من التقدم أمتاراً في الأراضي اللبنانية. فضلاً عن حالة الخوف والموت والهروب التي تحدثها صواريخ المقاومة في كل مناطق الجليل، ومستعمراته، والساحل، وصولاً إلى حيفا، وما بعد حيفا.

وإذا كانت الحالة الأولى التي كسر فيها حاجز الخوف العربي، وانتقل فيها إلى الجانب الإسرائيلي، قد أجهضت، عندما لم تستكمل حرب أكتوبر 73، واكتفى بجعلها حرب تحريك بدلا من أن تكون حرب تحرير. وعندما شكلت نتائجها السياسية كارثة قومية، حين اكتفى بإجلاء القوات الإسرائيلية عن سيناء، بينما ظلت الأرض العربية الأخرى في فلسطين وسورية محتلة، وظلت الحقوق الفلسطينية مغتصبة، وجرى توقيع معاهدة سلام مصرية إسرائيلية أخرجت بموجبها مصر ـ أكبر دولة وقوة عربية ـ من دائرة الصراع العربي الصهيوني، ورفع الشعار القائل «إن حرب أكتوبر هي آخر الحروب العربية مع إسرائيل»، وتحول الصراع من صراع قومي إلى صراع جزئي مع إسرائيل يخص فقط كل بلد عربي تحتل إسرائيل أرضه أو جزءا منها، بينما انغمس العرب الآخرون في اهتماماتهم القطرية، وتخلوا عن واجباتهم القومية.

وإذا كانت الحالة الثانية التي زرعت الخوف لدى الإسرائيليين، قد أجهضت هي الأخرى أيضاً، عندما تكالبت أكثر من ثلاثين دولة ـ ومن بينها للأسف الشديد عدد الدول العربية وجيوشها ـ على العراق، وقامت بتدميره ـ بحجة تحرير الكويت ـ وفرضت عليه حصاراً دام أكثر من ثلاثة عشر عاماً، وانتهى باحتلال أمريكي بريطاني للعراق، بمساعدة عربية، وذلك لحماية إسرائيل مما كان يشكله العراق بقدراته العسكرية والاقتصادية والعلمية، ومشروعه القومي النهضوي، من تهديد للاحتلال الصهيوني، ومن خطر على الوجود والنفوذ الأمريكي في المنطقة.

فإن العنوان العربي الثالث الذي يرعب إسرائيل، مازال قائماً، ويؤدي واجبه، ويفعل فعله، وهو المقاومة الباسلة في جنوب لبنان، وامتداداها، عبر صواريخها، إلى العمق الإسرائيلي. فهذه المقاومة العظيمة لا تترك أثرها المرعب على جنود الاحتلال الإسرائيلي فقط، من خلال قتلهم أو إصابتهم وتدمير آلياتهم، وقتل روحهم المعنوية، وإنما تمتد آثارها لتصيب الكيان الصهيوني بكامله. فلقد أجبرت المقاومة، كما تقول الصحافة الإسرائيلية، ما بين ثلث إلى نصف سكان الشمال الإسرائيلي البالغ عددهم حوالي مليون نسمة على مغادرة مناطقهم، هرباً إلى مناطق الوسط والجنوب، بينما يقضي بقية السكان أيامهم ولياليهم مختبئين في الملاجئ ينتظرون مصيرهم المجهول. أما عدد الإسرائيليين الذين غادروا إسرائيل إلى الخارج فيقدر حتى الآن بعشرات الألوف، هذا فضلاً عن الأعداد الأكبر التي تفكر بالمغادرة فيما لو طالت الحرب، أو امتدت آثار الصواريخ إلى مدى أبعد مما وصلت إليه حتى الآن.

هذه الآثار التي رصدت حتى الآن في الجانب المعنوي، أما آثارها على الجانب الاقتصادي فهي كبيرة جداً، ولم يتم تقديرها بعد. فمئات المعامل والمصانع قد توقفت عن العمل، ومئات المزارع قد أحرقت أو توقف العمل فيها. وموسم الصيف السياحي، على البحر، وفي المنتجعات السياحية والفنادق، قد توقف بالكامل تقريباً، سواء كان سياحة داخلية أو قادمة من الخارج، وعمليات الاستثمار القادمة من الخارج باتت مترددة بالتأكيد، إن لم تكن قد توقفت. وإذا ما أحصيت هذه الخسائر في الجانب الاقتصادي، فلنا أن نتصور حجم الخسائر التي ستوقعها في الناتج القومي أو الدخل القومي في إسرائيل.

وإذا كان هذا هو حجم الخسائر المعنوية والمادية التي توقعها المقاومة في الجانب الإسرائيلي، وأهمها هز هذا الكيان وكشف ضعفه، وزرع الرعب والخوف في شرايين حياته..... فإن أثرها المعنوي في الجانب العربي له نتائج مستقبلية أكبر. فهي تحرر النفس العربية من الخوف، وتبث فيها روح الصمود والمقاومة، وتشجعها على التمرد على حالة الكبت والقمع التي يفرضها عليها حكامها، وتعطيها مثالاً حياً على أن توفر إرادة القتال والمقاومة كفيل وحده بأن يهزم أعتى الجيوش، وأن يزعزع أي كيان مهما ادعى التماسك والقوة.

كما أن هذه القدرات التي تبديها المقاومة اللبنانية، تشكل درساً للمقاومات الأخرى ـ وخاصة في فلسطين ـ حول أهمية التنظيم والتدريب ووحدة القوى المقاتلة على الأرض، ووحدة القيادة، والحفاظ على السرية، والابتعاد عن المظهرية والاستعراضية، والعصبوية التنظيمية، والنزعات، والنزاعات السلطوية والعائلية. وابتداع الأساليب والوسائل القتالية التي توقع الخسائر بالعدو، وتقلل من خسائر المقاومة، وتسخير سلاح المقاومة لمواجهة العدو فقط.

ومن المبهج أن هذه الانجازات التي تحققها المقاومة، تأتي في عصر الهيمنة الأمريكية الذي يفرض نفسه على العرب وعلى العالم، وفي ظل الصمت الرسمي العربي، بل وفي ظل تواطؤ بعض أطراف هذا النظام على المقاومة وإدانته لها، مما يوجه رسالة إلى الإمبريالية الأمريكية، وحلفائها العرب وغير العرب، أن روح الصمود والمقاومة مازالت تكمن في جينات هذه الأمة. ومازالت قادرة على مواجهة هذه الهيمنة الأمريكية مهما بلغت قوتها وسطوتها العالمية. وأن الأمة العربية، عندما تتوفر الإرادة لدى أبنائها المخلصين، قادرة على استنهاض تاريخها، واستحضار تراثها النضالي العربي الإسلامي، وفتح أبواب المستقبل المشرق من جديد أمام هذه الأمة العظيمة صاحبة الرسالة الخالدة.

وإذا كانت قد ركزت على المقاومة اللبنانية وحدها، بقيادة حزب الله، للحديث عن الآثار التي تتركها المقاومة في جانب العدو، والمعاني الروحية والثورية التي تحدثها في النفس العربية.

فإن ذلك يأتي في سياق الرد على الهجمة التي تتعرض لها هذه المقاومة سواء من إسرائيل، وحلفائها الأمريكيين، ومن بعض الأصوات الرسمية العربية. وللدلالة على عظمة الآثار التي تحدثها مقاومة من بلد صغير بحجم لبنان وبإمكانيات محدودة، فكيف إذا كانت كل قدرت الأمة وإمكانياتها موضوعة تحت تصرف المقاومة، ومكرسة لدعمها، بما في ذلك المقاومة الفلسطينية الباسلة التي تصمد وتتواصل منذ سنوات طويلة، شاغلة الكيان الصهيوني، وحارمة إياه من الاستقرار، ومن الأمن والأمان، رغم مضي أكثر من ثمانية وخمسين عاماً على قيامه، مؤكدة على استمرار النضال حتى تتحقق الأهداف الفلسطينية في تحرير الأرض وعودة اللاجئين.

وكذلك المقاومة العربية والإسلامية العظيمة التي تملأ أرض العراق، وتقبر جنود الاحتلال الأمريكي البريطاني وعملائه بالعشرات يومياً، مبشرة برحيل الاحتلال الأمريكي قريباً عن أرض العراق، فإن أثرها، ورغم تجاهل الإعلام العربي والعالمي لها، فإنها تدمر هيبة الإمبريالية الأمريكية وتمرغها في الوحل، وتعيد كتابة تاريخ العرب المجيد في أرض الرافدين. بل إن معركة العراق التي ما تزال جارية، أسهمت وتسهم في خلق أكبر حالة تحريض عالمية ضد السياسة الأمريكية، وربما تكون نقطة تحول رئيسية على طريق انهاء عصر العولمة والهيمنة الأمريكية.

ليكن شعارنا الدائم، كعرب، المجد للمقاومة في فلسطين ولبنان والعراق. فهذا هو طريقنا الوحيد نحو النصر والتحرير.

* كاتب وسياسي فلسطيني

جريمة المساعدات الانسانية

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

بعيد شن الحرب الأمريكية على العراق في عام 2003، جاء إلى مسجدنا المحلي هنا في شمال لندن ممثلو منظمة إغاثة يطلبون التبرعات للمنكوبين في العراق. وكانت هذه أول مرة أرفض فيها بإصرار التبرع لغرض إنساني. ذلك أن المسؤولية عن حاجيات المدنيين في العراق المحتل ـ وهو على كل حال بلد غني بموارده كان قبل الحصار يقدم المساعدات للآخرين ـ هي مسؤولية سلطات الاحتلال، وليس من واجبنا تقديم المساعدة للمحتلين وفي العالم الملايين ممن هم أحوج للمساعدة.

(2)

لا أتخذ موقفاً مماثلاً من التبرع لفلسطين لأسباب لا تخفى، ولكن هذا لا يمنع أن واجب كفاية كل الاحتياجات الإنسانية لضحايا الاحتلال الفلسطيني من محاصرين ومشردين ومهاجرين هو مسؤولية الاحتلال ومن يقفون وراءه. ومن حق كل فلسطيني أن يقاضي سلطات إسرائيل وسلطات الدول الداعمة لها ـ بما فيها كثير من الدول العربية ـ في محاكم هذه الدول والمحاكم الدولية ليفرض عليها القيام بهذا الواجب. فالفلسطيني لم يشرد نفسه، ولم يحاصر نفسه ويحرم نفسه من التجارة والضرب في الأرض طلباً للرزق.

(3)

انتشرت هذه الأيام في الولايات المتحدة بدعة مقاضاة الدول العربية والإسلامية بتهمة دعم الإرهاب. وأقترح على المنظمات الحقوقية والمنظمات العربية والإسلامية تشجيع ضحايا الإرهاب الإسرائيلي والعدوان الأمريكي مقاضاة إسرائيل وأمريكا وحلفائهما واللوبيات التي تدعم إسرائيل في المحاكم الأمريكية والأوروبية بتهمة التواطؤ في العدوان المستمر منذ أكثر من خمسة عقود على الفلسطينيين. أما الدول العربية التي لا توجد فيها مثل هذه المحاكم فنقترح أن يشكوها المتضررون إلى الله تعالى.

(4)

انتشرت أيضاً هذه الأيام بدعة جمع التبرعات للمنكوبين في لبنان كتعبير عن التضامن مع الشعب اللبناني في محنته، وأيضاً كمحاولة لـ«غسل الضمير» من قبل بعض من ساهموا في هذه المحنة أو عجزوا أو جبنوا عن التصدي لها. ولا شك أن تقديم المساعدات الإنسانية للمتضررين عمل نبيل، خاصة حين يقترن بمنظومة التشريع الإنساني الدولي المعاصر بجملتها، بما في ذلك حماية المدنيين من ويلات الحرب، واعتبار استهدافهم جريمة حرب. ولكن العون «الإنساني» يصبح جريمة حين يتحول إلى غطاء وتبرير لاستمرار الجرائم ضد الإنسانية.

(5)

ضحايا جرائم الحرب في لبنان هم في حاجة ماسة بلا شك إلى معونات إنسانية عاجلة، المسؤولية الأولى فيها تقع على عاتق من تسببوا في هذه الكارثة الإنسانية ويصرون على استمرارها، ومن ساندوهم وتواطؤوا معهم. ولكن الذي يحتاجه كل اللبنانيين هو الوقف الفوري للعدوان ضدهم، ودعم صمودهم ومقاومتهم، وهذا هو الواجب الذي يجب أن تتصدى له الجماهير العربية لأن لا أحد غيرهم يمكن أن يقوم بذلك. وأقصر طريق لذلك هو أن تقوم المنظمات السياسية والمدنية في كل العواصم العربية بتنظيم اعتصامات مفتوحة في كل العواصم العربية يشارك فيها أكبر قدر من المواطنين، نساءً ورجالاً وأطفالاً، ولا تنفض هذه الاعتصامات حتى يتوقف العدوان.

(6)

تجمع الملايين في الساحات العامة في كل عاصمة عربية كفيل بأن يرسل رسالة قوية إلى إسرائيل ومن يقف وراءها بأن الانفراد بالعدوان على لبنان لم يعد ممكناً، وأن الاستمرار فيه يهدد بانهيار الأنظمة العربية الداعمة للعدوان بالقول أو الصمت، مما يعني انهيار الجدار الآخر الذي يعتمد عليه أمن إسرائيل، وهو سياج أنظمة العجز والانهزام، وتحويل كل دول الجوار إلى لبنان آخر. وهذا سيكون أقوى رادع للعدوان.

(7)

العدوان الإسرائيلي على لبنان وفلسطين ينطلق من الثقة في تواطؤ وعجز الأنظمة، والمراهنة على موت الشعوب. وأفضل مساهمة في إنقاذ لبنان وفلسطين هي في إثبات أن الشعوب حية. وهذا أضعف الإيمان لأنه إذا لم يؤد إلى إسقاط أنظمة البؤس والعجز فإنه سيدفع بهذه الأنظمة للتضرع لإسرائيل وأمريكا أن أنقذونا بوقف عدوانكم حتى لا نصبح من ضحاياه، فتكونون أنتم معنا من الخاسرين.

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:

مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:

عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(212 37)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف/فاكس: 5066089 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD

Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637

email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel/Fax: (9626) 5066089

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364